معجم الحيوان

(تابع ما قبلهُ)

﴿ الكَرْكَدَّن (فارسية) . الكَرْكَنْد (معرّفة عنها) . الحَرِيش[1] (حبشية) المِرْمِيس . المِرْمِيس . السِنَاد . الحمار الهندي . وحيد القرن (ترجمة الاسم اليوناني) ﴾

E. Rhinoceros. F. Rhinocéros.

حيوانٌ من ذوات الحافر عظيم الجثة قصير القوائم غليظ الجلد لهُ قرنٌ واحد فوق انفهِ ولبعض انواعهِ قرنان الواحد فوق الآخر . وهو هندي وافريقي ويعرف في السودان بابي قرن وام قرن ويسمى قرنهُ بالخَرْتُوت والخَرْتِيت والخُرْتُوت

وقد ذكرت لهُ اسماء غير هذه في بعض المؤلفات العربيّة وسماهُ البيروني الغندا وهي لفظة سنسكريتية . وهو النشان في مروج الذهب وفي بعض النسخ النيان والنوشان . وحسب المسعودي ان لفظة الكركدّن عامية وقال " النشان الذي تسميهِ العامة الكركدّن " . وضبطها الفيروزبادي بتشديد الدال وقال العامة تشدد النون فيكون المتنبي على زعمها عامياً مزدوجاً في قولهِ

وشعرٍ مدحت بهِ الكركدنّ بين القريض وبين الرُقى

ولا بدّ هنا من البحث في امر الحيوان الخرافي المسمّى حريشاً في المؤلفات العربية و Unicornis او Licorne عند قدماء الافرنج وهو الحيوان المرسوم على الشعار البريطاني وزعموا ان لهُ رأس الفرس وقوائم الظبي وذنب الاسد وفي وسط رأسهِ قرنٌ واحد مُصمت . ولم فيهِ اقوال غير هذه فيما يختص بشكلهِ . وقالوا انهُ يحتال لصيدهِ بان تتعرض لهُ فتاة عذراء فيستأنس بها . وكانت العرب تزعم مثل ذلك او انهم اخذوا هذه الخرافة عن غيرهم فقد جاء في الدميري ما نصهُ " الحريش نوع من الحيات ارقط قالهُ الجوهري وقال بعد هذا الحريش دابة لها مخالب كمخالب الاسد ولها قرن واحد في هامتها ويسميها الناس الكركدان وقال ابو حيّان التوحيدي هي دابة صغيرة في جرم الجدي ساكنة جدًّا غير ان لها من قوة الجسم وسرعة الحركة ما يعجز القنّاص ولها في وسط رأسها قرن واحد مصمت مستقيم تناطح بهِ جميع الحيوان فلا يغلبها شيء ويحتال لصيدها بان تتعرض لها فتاة عذراء " الخ . وقال

(١) ترد ايضاً بمعنى الغوبية المعروفة بالمغربان لوام اربع واربعين

القزويني « الحريش حيوان في حجم الجدي ذو عدو شديد وعلى رأسه قرن واحد كقرن الكركدان واكثر عدوه على رجليه لا يلحقه شيء في عدوه ويوجد في غياض بلغار وسجستان[1] »

فيرى القارئ مما تقدم ان الحريش حيوان خرافي عند بعضهم والكركدن عند البعض الآخر ويزعم كثيرون من علماء الافرنج ان الحريش هو الوضيحي الذي تقدم ذكره في عدد ماض من المقتطف وذلك لان ارسطو زعم ان للوضيحي قرناً واحداً فان الناظر الى الوضيحي من جانب واحد يتراءى له انهُ كذلك . ويعتقد آخرون ان الحريش حيوان قائم بنفسه فلا هو الكركدن ولا هو الوضيحي بل حيوان آخر يوجد في بلاد التبت ومجاهل الزيتية وادلتهم على ذلك اقرب الى الخرافات منها الى الحقيقة واسنادهم ضعيف جداً اضربت عن ذكره ومن شاء فليراجعهُ في محلهِ[2] . ولا يخفى ان اكثر الحيوانات الخرافية ان لم نقل كلها مصدرها الحقيقة فالانسان لا يخلق كائنات جديدة بل ينيم في صورها حسب تخيلاته فالتنين والصنجة والسعلاة كانت حيوانات معروفة عند الانسان في العصور الخالية وانقرضت ولم يبق منها الا الاسماء والصفات الغريبة الخارجة عن حد المعقول وسيأتي ذكر كل منها في موضعهِ . وسأورد الآن تاريخ الكركدن او الحريش ملخصاً ليتضح للقارئ انهما اسمان لحيوان واحد فالمسمى وحيد القرن عند الافرنج والحريش عند العرب ليس سوى الكركدن المعروف

فاول من ذكر هذا الحيوان فيما يعلم اكتيسياس اليوناني وسماهُ الحمار الابيض وكان اكتيسياس هذا طبيباً لاحد ملوك الفرس فسمع بهذا الحيوان في تلك البلاد . وذكرهُ بعد ذلك ارسطو في كتاب النعوت وسماهُ الحمار الهندي وكذلك تجد ان الكركدن يسمى الحمار الهندي بالعربية ايضاً . قال ارسطو ما تعريبهُ « ولم ترَ من ذوات الحافر ما لهُ قرنان لكن يوجد حيوانات قليلة جمعت بين الحافر والقرن الواحد منها الحمار الهندي والوضيحي » (الاركس)

وسُمّي هذا الحيوان بعد زمن ارسطو بالمونوكيروس اي وحيد القرن وذكرهُ بليينوس واليانوس الرومانيان بهذا الاسم وقال الاخير منهما ما تعريبهُ . « وفي بلاد الهند الخيل والحُمُر ذوات القرن الواحد (مونوكيروس) يتخذ من قرونها كؤوساً اذا وضع فيها شراب مسموم لا يؤذي شاربهُ » . وهو ما قالهُ مؤلفو العرب عن الكركدن كما سيجيء . الا ان

(١) بلغار عند علماء العرب سيبيريا وسجستان مقاطعة بين بلاد الافغان وبلاد فارس (٢) انظر حاشية بادجر وحاشية شفرعلى رحلة بارنيا صفحة ٤٧ من الترجمة الانكليزية و ٥٣ من الترجمة الفرنسوية

اليانوس ذكر الكركدن ايضاً على حدة وسماهُ كرتزوتس وبعضهم قرأها كركزونس واللفظة شبيهة بلفظة الكركدن كما لا يخفى وهذا لا ينفي ان اسمي مونوكيروس هو الكركدن . فاليانوس وبلينيوس لم يريا الكركدن مطلقاً بل وصفاهُ على السماع

وجاء في كتاب عقد الجمان لعبدالله بن جبريل بن بختيشوع ما نصهُ " للكركدن والعرب يسمونهُ الحريش والسريانيون يسمونهُ ريمًا " . وذكر ان اهل الصين يتخذون مناطق من قرونهِ . ولا يخفى ان لفظة ريم بالسريانية والعبرانية ترجمت بلفظة مونوكيروس في التوراة السبعينية وعليها اعتمد ابن بختيشوع ويظهر انهُ كان عارفاً تمام المعرفة ان هذا الحيوان المسمى مونوكيروس باليونانية هو الكركدن بعينهِ وعبدالله هذا كان يحسن العربية والسريانية واليونانية كغيرهِ من بني بختيشوع

وقد اشتهر امر الحريش في القرون الوسطى واتخذوا من قرونهِ آنية للاكل وكؤوساً للشراب وانصبة للسكاكين وزعموا ان هذه الآنية تعرق اذا قربت من طعام مسموم (انظر دائرة المعارف الفرنسوية ومعجم لاروس) الا انهم كانوا يجهلون وصف الحريش ومصدر هذه القرون ولم يكن الكركدن معروفاً عندهم . واول من وصفهُ منهم وصفاً يطابق الحقيقة ماركو بولو الرحالة البندقي الشهير وذلك في اواخر القرن الثالث عشر وسماهُ Unicornis وذكر وجودهُ في سومطرا وانكر ما نسب اليهِ من انهُ يستأنس بالفتيات . وزعم بارثيما انهُ رأى الحريش في مكة المكرمة في سنة ١٥٠٣ للميلاد ووصفهُ وصفاً قرب بهِ منهُ الى الحقيقة انتقلَ الى القراء على سبيل الفكاهة قال ما تعريبهُ " وفي مكان آخر من الحرم (كذا) حظيرة فيها حريشان على قيد الحياة شكلهما عجيب جداً . فالكبير منهما في خلقة المهر الشتي ولهُ قرنٌ واحد في جبهتهِ طولهُ نحو ثلاث اذرع والصغير في خلقة المهر الفلوطول قرنهِ نحو اربع قبضات . والواحد منهما لونهُ كلون الغزال الكميت ورأسهُ كرأس الابل وعنقهُ معتدل في الطول ولهُ عرفٌ قصير خفيف الشعر منسدل على جانبٍ واحد . اما قوائمهُ فمستدقة كقوائم المعز ولهُ اظلاف مقدمها مشقوقٌ قليلاً وعلى مؤخر القوائم شعر خفيف . وهو حيوان شرس وثقور . وهذان الحريشان اهداهما احد امراء الحبشة من المسلمين الى امير مكة " ولا اقدر ان اقول عن بارثيما الا انهُ كثير المبالغة فقد اخبرنا قبل هذا ان ثلاثة رجل من ركب الحج الشامي وهو منهم قتلوا الفاً وستمائة من الاعراب ولم يخسر الركب سوى رجل وامرأة

وجاء في رحلة الاب لوبو اليسوعي في الحبشة سنة ١٦٢٥ ذكر الكركدن والحريش لكنهُ قال انهُ رأى الحريش عن بعد ولم يصفهُ . وفي وصف افريقية لمارمول ما تعريبهُ

" ويوجد حيوان آخر يسميه الاحباش اروريس وهو بلا ريب ما يسميه العرب حريشاً . لهُ قرنٌ واحد ويشبه الحمور ويظن الاب نوبر انهُ الحيوان المعروف بوحيد القرن عند القدماء " . وفي تاريخ الحبشة للودولف ان الحيوان المسمى مونوكيروس هو الحريش عند العرب . والذي نعلمهُ الآن ان لفظتي اروريس وحريش تطلقان على الكركدّن في الحبشة فيكون الحريش عند العرب والمونوكيروس اي وحيد القرن عند الافرنج هو الكركدّن

اما العرب فكان الكركدّن معروفاً عندهم ووصفوهُ وصفاً مدققاً في كثير من مؤلفاتهم وكانوا يسمونهُ الحريش ايضاً وهو الاسم الذي يعرف بهِ في بعض انحاء الحبشة في يومنا (لافاير وبروس) . ثم انهم عند ما سموا بهذا الحيوان المسمى مونوكيروس عند اليونان والرومان سموهُ الحريش ايضاً لعلمهم انهُ الحريش اي الكركدّن الاَّ انهُ اشكل على البعض منهم علاقتهُ بالكركدّن فذكرهُ الدميري وذكر الكركدّن والسناد كلَّ واحدٍ على حدة ووصف كلَّ واحدٍ وصفاً مخالفاً لوصف الاثنين الآخرين والحقيقة ان الكركدّن والسناد والحريش اسماء مختلفة لحيوانٍ واحد وهي كذلك في كتب اللغة (انظر القاموز وتاج العروس ولسان العرب) . ومن الغريب أن عبدالله بن بخيشوع ذكر من الف سنة تقريباً ان الكركند اي الكركدّن هو الحريش وبعض الافرنج في يومنا يعتقدون بوجود هذا الحيوان الخرافي في بلاد التبت ومجاهل افريقية ويقولون انهُ خلاف الكركدّن (انظر حاشية بادجر وحاشية شفر على رحلة بارثيما المذكورة آنفاً)

اما قرن الحريش ويسمى الخرتوت والخرتيت والختوّ فقد زعم القدماء ان لهُ خاصة ضد السمّ وهذا الاعتقاد اصلهُ بلاد الصين والمحمول على ما اظن وانتشر منهما الى الغرب ويعتقد بهِ عامة المصريين واهل السودان الى يومنا . وجاء في مختصر تحفة المشتاق للادريسي ما نصهُ " وبها دابة تسمى الكركدّن .... ولها قرن في وسط جبهتها ... وفيها يذكر انهُ يوجد في بعض هذه القرون اذا هي شقت صورة انسان او صورة طائر او غيره من الصور .... وهذا القرن تصنع منهُ مناطق تساوي من القيمة كثيراً وحكى الجيهاني في كتابهِ ان ملوك الهند تصنع من قرن هذه الدابة انصبة السكاكين للوالد فاذا وضع الطعام بين ايديهم وكان فيهِ سمّ عرق ذلك الصناب فيعلم بذلك ان الطعام مسموم (طبع رومية صفحة ٣٨)

وفي سلسلة التواريخ ما يأتي " وفي بلاد البشان (النشان) المُلْم وهو الكركدّن لهُ في مقدّم جبهتهِ قرنٌ واحد ... واهل الصين يتخذون منها (اي القرون) المناطق وتبلغ المنطقة ببلاد الصين الفين دينار "

وفي كتاب نخب الذخائر الذي نشره الآباء اليسوعيون في مجلة المشرق (السنة ١١ صفحة ٧٦٤) " الخرتوت ويقال خلوّ قال ابو الريحان البيروني هو حيواني يقال انهُ يؤخذ من جبهة ثور يكون في نواحي بلاد الترك بارض خرخيز وقيل بل من جبهة طائر عظيم يسقط في بعض تلك الجزائر وهو مرغوب فيهِ عند الترك واهل الصين يزعمون انهُ يعرق اذا قرب من طعام مسموم "

وفي معجم ڤولرس الخترّ قرن الكركدّن وقد وردت هذه اللفظة في الاصطخري وابن حوقل (صفحة ٢٨٩ و ٣٣٧) وحيث ان القدماء كانوا يجهلون مصدر هذه القرون زعم بعضهم انها من جبهة ثور او طائر وخلاف ذلك كما جاء في معجم ڤولرس ايضاً

اما لفظة الخرتوت فلم ارَ لها ذكرًا سوى في كتاب نخب الذخائر المذكور آنفاً وتبادر الى ذهني عند قراءتها انها محرفة عن لفظة الخرتيت فراجعت النسخة المخطوطة التي اشار اليها حضرة الاب لويس شيخو فوجدتها الخرتوت بخط واضح ويستبعد ان يكون هناك خطأ في النسخ مع وجود نسخة في بغداد واخرى في مصر وقد ذكرت اللفظة في كليهما كما هي في مجلة المشرق فاما ان يكون الخطأ من المؤلف او ان هذه المادة كانت تسمى الخرتوت في ايامهِ. اما الخرتيت فمعروف بهذا الاسم في مصر والسودان وهو قرن الكركدّن ويعملون منهُ عصيًّا وكؤوساً في ام درمان واسيوط ويبيعونها بثمن غالٍ ووصفهُ يشبه وصف الخرتوت في كتاب نخب الذخائر ويزعم العامة في مصر والسودان انهُ مضادٌّ للسموم كما اشتهر عنهُ عند القدماء. ولم اجد ذكرًا لهذه اللفظة في المؤلفات العربية الاَّ في تذكرة داود الانطاكي حيث قال " قرن الخرتيت يأتي في الكركدن " نقولهُ يأتي بنهم منهُ ان البعض يكتبون هذه اللفظة بالواو والاَّ لما نبَّه الى ذلك . اما في كتب الافرنج فقد وردت في فورسكال وير كهارت وغيرهما

﴿ الفَرَس ﴾ Equus caballus. E. Horse. F. Cheval. وهو بَرَش بالعبرانية ويُظن ان اللفظة مأخوذة من پارس اي بلاد فارس لان الفرس جاء الى الشعوب السامية عن طريق تلك البلاد . وفي كتب اللغة سمي الفرس بذلك لانهُ يفرس الارض برجلهِ

﴿ حمار الزَّرَد . الزِّبِرَّة (حبشية) ﴾ E. Zebra. E. Zèbre جنس من الحمر الوحشية وهو ابيض اللون ومخطط بخطوط سود . ولم اقف على اسم عربي لهذا الحيوان ولا بد انهُ كان معروفاً عند العرب لكثرة تردده الى بلاد الحبش حيث يكثر وجودهُ . اما تسميتهُ بحمار الزرد فلا اعلم من وضعها اولاً

﴿ الفَرَاء ﴾ E. Wild ass. F. Ane Sauvage. نوعٌ من الحمر الوحشية وهو

في حجم الحمار الاهلي وشبيه به ويوجد في العراق وبادية الشام

﴿ الأَحْدَر · الاخدري ﴾ E. Onager. F. Onagre نوعٌ من الحمر الوحشية وهو اكبر من الفراء واسرع ويوجد في بلاد فارس الى الهند شرقاً

﴿ البَغْل (حبشية) ﴾ E. Mule. F. Mulet. حيوانٌ متولد من الحمار والفرس

﴿ التَغْل · الكَوْدَن (فارسية) ﴾ E. Hinny. F. Hinnule حيوانٌ متولد من الحصان والاتان . والكودن لفظة فارسية بمعنى البرذون والبليد واستعارها المسعودي لهذا الحيوان المعجّن . اما التغل فهو الاسم الذي يعرف به هذا الحيوان عند عامة اهل الشام

﴿ الفيل (يميل بالفارسية ومجهولة الاصل) ﴾ Elephas. E. Elephant. F. Éléphant.

﴿ الماموث (تترية من معنى الارض) ﴾ Elephas primigenius. E. & F. Mammoth

نوعٌ من الفيلة انبائدة وهو شبيه بالفيل الهندي ويوجد جثتهُ مغطاة بالثلج في سيبيريا . واظن الماموث هو الصناجة التي ذكرها القزويني في كتاب عجائب المخلوقات · قال "ليس شيء من حيوانات الارض اكبر صناجة وقالوا يوجد بارض التبت يتخذ بيتاً لنفسه قرب فرسخ ومن خواصهِ ان نظرهُ اذا وقع على حيوان مات ذلك الحيوان واذا وقع نظر شيء من ذلك الحيوان عليهِ تموت الصناجة ايضاً . ثم ان الحيوانات عرفت ذلك في تلك البلاد فتعرض نفسها على الصناجة غافلة هينها ليقع نظر الصناجة عليها فتموت فتبقى طعمةً للحيوان زماناً طويلاً والله اعلم" . واصل هذه الخرافة على ما اظن ما يروى عن التتر فانهم يعتقدون ان الماموث يعيش تحت الارض كما يفعل الخلد لانهم لا يرون على وجه الارض الاَّ جثتهُ وذلك عندما يذوب الثلج عنها وتنكشف (انظر هذه اللفظة في دائرة المعارف الانكليزية وغيرها) وهذا يشبه ما قالهُ القزويني انهُ يتخذ لنفسهِ بيتاً قرب فرسخ وانهُ اذا رأى الحيوانات يموت فيبقى طعاماً لها زماناً طويلاً والواقع ان جثث هذا الحيوان التي كشفت في سيبيريا في القرن الماضي والذي قبلهُ بقيت زماناً طويلاً طعاماً للوحوش والكلاب · وذكر الاب لوبو في رحلتهِ الحبشية ان فرس النهر يعيش تحت الارض في القطب الشمالي ولا ريب انهُ يقصد بذلك هذا الحيوان المسمى ماموثاً · وكان الماموث معروفاً عند العرب لكنهم لم يذكروا لهُ اسماً خلاف الصناجة ان كان هو الصناجة ولا بأس من ايراد ما جاء في كتاب آثار البلاد عن ذلك قال "وفي كتاب سير الملوك ان القوم الذين آمنوا بهود عليهِ السلام وهربوا الى بلاد الشمال واقاموا فيها توجد بارض بلغار عظامهم قال ابو حامد رأيت سناً واحداً عرضهُ

شبران وطوله اربعة اشبار وجمجمة رأسه كالقبة وترجد تحت الارض اسنان مثل انياب الفيلة بيض كالثلج ثقيلة في الواحد منها مائتا من لا يدري لاي حيوان هي فلعلها سنّ دوابهم تحمل الى خوارزم الاّ ان طريقهم في وادٍ من الترك ويشترى من تلك الاسنان في خوارزم بثمن جيد تُتخذ منها الامشاط والحقاق وغيرها كما تُتخذ من العاج بل هي اقوى من العاج لا تتكسر البتة "

الدكتور امين المعلوف

مناجاة الاحلام وقرع الاوهام

لقد كثر الآن تحدث الناس بغرائب افعال العقل او النفس كما يقال ايضاً وسائر افعال الجهاز العصبي الخارجة عن المألوف من مثل التخيُّلات والشعور بما هو فوق طاقة الحواس الاعتيادية وانطباق ذلك في بعض الاحيان على الواقع مما يخلط كثيراً على العامة وبعض الخاصة ايضاً. واشتدّت المناضلة بين الباحثين فذهب بعضهم الى ان هذه الغرائب من خوارق الاعمال التي لا تنطبق على النواميس الطبيعيّة وعلّلها بانها من افعال الارواح المحيطة بنا. ونقل بعض الجرائد العربيّة تصريحات المستر ستد بما وقع لهُ ولبعض اشياعه ونسبتهم ذلك الى مناجاة الارواح. وقد كتبت مقالة في الجريدة اجابةً لاقتراح بعضهم ادفع هذا الزعم نافيًا الغرابة غير الطبيعية فيه ومطبقًا الصحيح منها على نواميس العلم الطبيعي وعلم الامراض العصبيّة. ونقل المقتطف مساجلة عالمين طبيعيين يذهب كلٌّ منهما مذهباً مخالفاً للآخر. فرأيت ان اسهب الكلام هنا للالمام بالموضوع من كل اطرافه لكي يتيسر للناظر بالمقابلة والاستقراء والاستناد الى العلم الطبيعي ان يحكم بما هو اقرب الى الحقيقة. وانا لا اشك في ان كل ما يجري فينا من هذا القبيل انما يجري تبعاً لقواعد طبيعيّة نظير سائر ما يقع في الطبيعة مما هو مقرّر اليوم انهُ بحث طبيعيّ بحت. ولا اشك كذلك ان معلوماتنا الطبيعية اليوم كافية وحدها لتعليل ذلك تعليلاً يزيل عنهُ كل غرابة الاّ ما كان من قبيل الغرائب الطبيعيّة فقط

ان غرائب افعال العقل والجهاز العصبي معروفة للانسان منذ القديم واشهرها الاحلام التي تعرض لهُ وهو نائم — وفي تعرض للحيوان ايضاً — وقد كانت سبباً من اكبر الاسباب لاعتقاد الانسان ان فيهِ قوة غريبة عن جسمهِ تنفك عنهُ في حالة النوم وتطوف المعاهد منتقلة من مكان الى مكان ومن احساس الى احساس ثم ترجع اليهِ في اليقظة وكثيراً ما